الوجودية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف والمرابطين مثالاً

م.م أحمد عبد الحميد رسن جامعة واسط/ كلية العلوم

الملخص Abstrct:

If it is common among the theorists of philosophical science to say that every human being is a philosopher rather than indulged in physical materialism and lusts, this principle is unbelievable to one of the people as true to the poets. This research attempts to discuss one of the philosophical and literary doctrines together, the doctrine of existentialism, a doctrine which is known to open the door to freedom in front of the individual in large and out of the constraints that they think is a factor in the deprivation of their freedoms, seeking from this freedom to each the distant horizon is not between him and him And some of the special features of the Andalusian environment call for this liberation and this is what we will notice in some poets, who did not distinguish between the limited freedom of the limitations of custom and the nature of Arab society and religion instructions that the poet must abide by its principles and teachings as a Muslim and belongs to the environment sought by Muslims to install In which their religion, and the absolute freedom granted by the doctrine of existential. This research seeks to study this situation between two opposing directions, in the light of the poetic texts that were produced for the modern sects and Almoravid, in light of the topics of spinning, asceticism, yeast and heritage

الملخص

إذا كان شائعاً بين المنظرين للعلوم الفلسفية مبدأ يقول (إنَّ كل إنسان فيلسوف إلى حد ما إلا من انغمس في اللذائذ المادية والشهوات الجسدية)، فإن هذا المبدأ لا يصدق على أحد من الناس كما يصدق على الشعراء.

يحاول هذا البحث أن يناقش أحد المذاهب الفلسفية والأدبية معاً، وهو مذهب الوجودية، ذلك المذهب الذي اشتهر عنه أنَّه يفتح باب التحرر أمام الفرد بشكل واسع والخروج من القيود التي يظنوها عاملاً في سلب حرياتهم، ساعين من وراء هذا التحرر الوصول إلى الأفق البعيد ليس بينه وبينه شيء، وكانت بعض الملامح الخاصة بالبيئة الأندلسية تنادي إلى هذا التحرر وهذا ما سنلحظه عند بعض الشعراء، الذين لم يميزوا بين الحرية المحدودة بقيود العرف وطبيعة المجتمع العربي وتعليمات الدين الذي وجَّب على الشاعر أن يلتزم بمبادئه وتعليماته بوصفه مسلماً وينتمي لبيئة سعى المسلمون لتثبيت دينهم فيها، وبين الحرية المطلقة التي يمنحها المذهب الوجودي.

ويسعى هذا البحث لدراسة هذه الحالة بين اتجاهين متناهضين، في ضوء النصوص الشعرية التي كانت انتاج لعصري الطوائف والمرابطين ، في ضوء موضوعات الغزل والزهد والخمريات والمراثي.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد العدنان، الذي جاءنا بأوضح تبيان، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الهداة المهديين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، صلاة وسلاماً دائمين ما سجعت الورق على الأغصان، وما تعاقبت الأوقات والأزمان، وبعد..

فمن يتتبع فنون الأدب العربي منذ نشأتها، القديم فيها والمخترع، لا يجد فناً أطول عمراً من الشعر؛ ذلك الفن المستقل الذي لم يخترعه الإنسان، ولكنه سيق إليه، وتدفقت عواطفه وأفكاره وتجاربه على أنغامه وموسيقاه، ونشأ مع الجنس البشري منذ صار الإنسان حيواناً اجتماعيًّا(**إبراهيم عبد القادر المازني ، 1967**)؛ ولذلك فما أكثر ما أثَّر في الناس، وما أكثر ما تأثر بما استجد في حياة الناس من الأحداث والنظريات والأفكار والفلسفات (**إبراهيم عبد القادر المازني ، 1990**)

هذا ويعد الفكر الفلسفي –من حيث معناه الواسع- هو أكثر المجالات قرباً وتبادلاً للتأثر والتأثير في الشعر؛ فإذا كانت الفلسفة كما هي محبة الحكمة والسعي وراءها (**أ.سرابوبرت،1995**)؛ فإن الشعر هو وعاء الحكمة، وأغزر بحورها، كما وصفه رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم- قائلًا: «**إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً**» (**أبو بكر الخلال، وآخرون**).

ومن هذا المنطلق كانت الرغبة في كتابة هذا البحث، الذي يسعى إلى الكشف عن جانب من جوانب هذه العلاقة، العلاقة بين الفلسفة متمثلة في المذهب الوجودي كما يظهر عند سارتر وغيره، وبين الشعر متمثلاً في الشعر الأندلسي خلال عصري ملوك الطوائف والمرابطين، وذلك عبر إتجاهين: إتجاه موافق له مساير، وآخر مناهض له مغاير.

أما الوجودية فلأنها أكثر المذاهب الفلسفية التي تدعو إلى الانطلاق، والتحرر من القيود، كل القيود (**غالب بن علي عواجي، 2006**)؛ ومن ثم فإنها توافق أحد أهم المقومات التي تقوم عليها الروح الشعرية، وهو مقوم الحرية؛ فالعلاقة بين الشعر والحرية، علاقة روح وجسد، الفصل بينهما يعني موت القصيدة، هذه القصيدة التي تستمد حياتها ولغتها ورؤيتها وتقنيتها وموضوعها وحيويتها من روح الحرية (**محمد الحمامصي، 2010**)

وأما الشعر الأندلسي في عصري ملوك الطوائف والمرابطين فلأن هذين العصرين قد أصيب فيهما المجتمع الأندلسي بتموجات متحركة كانت أحياناً تخل من توازنه، وتترك فيه آثاراً نفسية عميقة؛ ممَّا ساهم في وجود حالة من التشتت، والرغبة في الانطلاق، والإهتمام بالذات قبل الجماعة (**إحسان عباس،1978**)

ومن هنا كانت الأسباب قوية ومهمة لاختيار هذا الموضوع ودراسته بغية الرغبة في الكشف عن العلاقة بين الشعر وبين أحد أبرز جوانب النفس الإنسانية التي تقوم حولها فلسفة الوجودية، وهو جانب الحرية والانطلاق , فضلاً عن ذلك الرغبة في الكشف عن نزعة مهمة من نوازع شعراء الأندلس في عصري ملوك الطوائف والمرابطين التي لم تلقِ من الإهتمام بالدراسة ما تستحقه في خضم التشاغل بما شهده هذان العصران من تغيرات وصراعات سياسية وعسكرية , وكذلك الرغبة في دراسة الشعر الأندلسي بمنهج مباين للمناهج التي شاعت، والتي غلبت عليها النظرة التاريخية , حيث ظهرت بعض الأسئلة في هذه الدراسة ساعين للكشف عنها في ضوء دراستنا ومن بين هذه الأسئلة ما مظاهر الفكر الوجودي في الشعر الأندلسي في عصري ملوك الطوائف والمرابطين , وكذلك ما أقسام الفكر الوجودي التي ظهرت في الشعر الأندلسي في عصري ملوك الطوائف والمرابطين , أضيف إلى ذلك لابدَّ من معرفة الاتجاهات المناهضة للفكر الوجودي في عصري ملوك الطوائف والمرابطين , معتمدين على منهج وصفي للنصوص بغية والوقوف عليها؛ لتوضيح وتحليل آراء وإتجاهات هذه الإتجاهات والتيارات الفكرية؛ إذ أنَّ المنهج الوصفي يقوم على أساس تحديد خصائص الظاهرة، ووصف طبيعتها، ونوعية العلاقة بين متغيراتها وأسبابها واتجاهاتها، وما إلى ذلك من جوانب تدور حول سبر أغوار مشكلة أو ظاهرة معينة، والتعرف على حقيقتها في أرض الواقع، ويَعد بعض الباحثين أن المنهج الوصفي يشمل المناهج الأخرى كافة ، باستثناء المنهجين التاريخي والتجريبي؛ إذ أنَّ عملية الوصف والتحليل للظواهر تكاد تكون مسألة مشتركة وموجودة في أنواع البحوث العلمية كافة ، ويعتمد المنهج الوصفي على تفسير الوضع القائم؛ أي ما هو كائن، وتحديد الظروف والعلاقات الموجودة بين المتغيرات، ليتعدى المنهج الوصفي مجرد جمع بيانات وصفية حول الظاهرة، إلى التحليل والربط والتفسير لهذه البيانات وتصنيفها وقياسها واستخلاص النتائج منها , واقتضت طبيعة البحث أن **يشتمل على وتمهيد ومبحثان وخاتمة , فقد احتوى التمهيد** على **التعريف بمصطلحات الدراسة** وجاء المبحث الأول **لدراسة مظاهر الوجودية في الشعر الأندلسي , وهذا ما وجدناه في الغزل الصريح والخمريات والمراثي الثائرة ، وجاء المبحث الثاني ليكشف لنا اتجاهات مناهضة للوجودية في الشعر الأندلسي مثل الغزل العفيف وشعر الزهد و المراثي ومن ثم جاءت خاتمة البحث متضمنة النتائج التي توصلنا لها , ومن ثم عضدت البحث بقائمة المصادر والمراجع.**

التمهيد

التعريف بمصطلحات الدراسة

أولا - مفهوم الفلسفة الوجودية ونشأتها

نشأ المذهب الوجودي المعاصر أول ما نشأ في فرنسا على يد الفيلسوف سورين كيركجورد المتوفى سنة (1855م)، إلا أنَّ أشهر فلاسفته والمنظِّرين له هو الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر، ومن مشاهير الوجودية الفيلسوفة الفرنسية سيمون دي بوفوار، والفيلسوفان الألمانيان مارتن هيدجر وكارك يسبرز (**مانع بن حماد الجهني، 1999**)

ويُستحسن بيان مفهوم الوجودية من مؤلفات الوجوديين أنفسهم، ولكن قبل ذلك ينبغي بيان مصطلح قريب منها أشد القرب، وهو مصطلح (الوجود)؛ فالوجود –كما عند سارتر ينقسم على ثلاثة أقسام: الوجود في ذاته، والوجود لذاته، والوجود للغير؛ فالأول يُقصد به مجرد الظاهر للإدراك، أي كون الشيء مُدركاً، والثاني يعني به الإدراك نفسه، والثاني هو العلاقة بين هذا الظاهر، وبين الإدراك نفسه (**سارتر، 1966**)

وأما الوجودية نفسها –نسبة إلى الوجود- فيعرفها سارتر بأنَّها "الاعتقاد بأنَّ الوجود سابق على الماهية، أو أنَّ الذاتية تبدأ أولاً، وذلك بمعنى أنَّ الإنسان يوجد أولاً (وجوداً في ذاته)، ثم يتعرف إلى نفسه (وجودا لذاته)، ويحتك بالعالم الخارجي (وجودا للغير)؛ فتكون له صفاته، ويختار لنفسه أشياء هي التي تحدده، فإن لم يكن للإنسان في بداية حياته صفات محددة؛ فذلك لأنه قد بدأ من الصفر، بدأ ولم يكن شيئاً، وهو لن يكون شيئاً إلا بعد ذلك، ولن يكون سوى ما قدره لنفسه(سارتر ، 1994)

وبمعنى أوضح فالوجودية تقوم على المبالغة في التأكيد على تفرد الإنسان، وأنَّه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار، ولا يحتاج إلى موجه؛ وهي بذلك فلسفة عن الذات أكثر منها فلسفة عن الموضوع.

ثانياً - عصر ملوك الطوائف:

لمَّا تبدّد شمل الجماعة من بني أميّة في الأندلس سنة (422هـ) فقدت الأندلس وحدتها السياسية، وانقسمت البلاد إلى دويلات صغيرة مستقلة، فقام بكلّ دويلة من بلاد الأندلس ملك، فكان لكلّ ملك ما بيده، وقد أطلق المؤرخون على هؤلاء الملوك اسم (ملوك الطوائف) (**ابن خلدون، 1988**)، ومن أهم هذه الدويلات في الأندلس الدولة الزيرية (الصنهاجية) والدولة العامرية، والدولة العبادية.

ثالثا -عصر المرابطين:

أصل هذه الطائفة قبيلة من حمير تسمى (لمتونة)، وهم بربر أبناء صحراء، ويسمّون المرابطين لكثرة رباطهم، وكانوا يعرفون بـ(الملثمين) أيضاً؛ لأنهم إتخذوا اللثام شعاراً عُرفوا به (**محمد عبد الله عنان، 1997**)، وقد بدأت دولة المرابطين في الأندلس عندما استولى أميرهم يوسف بن

تاشفين على إشبيلية سنة (484هـ)، بعد أن هزم آخر حكام الدولة العبادية المعتمد بن عباد (**أبو الفداء ابن شاهنشاه، 1976**)

وقد سيطر يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين على كل المدن الأندلسية فيما عدا سرقسطة، وكان لهم دور كبير في حماية الأندلس من هجمات الصليبيين، وبعد وفاة أميرهم يوسف بن تاشفين عام (500هـ) اختلت أحوال دول المرابطين في الأندلس فظهرت مَنَاكر كثيرة؛ وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد، ودعواهم الاستبداد، واستولى النساء على الأحوال، وأسندت إليهن الأمور؛ ممَّا تسبب في سقوط دولة المرابطين في الأندلس سنة (541هـ)(**عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي ، 2006**)

المبحث الأول
مظاهر الوجودية في الشعر الأندلسي

أولاً: الغزل الصريح : إنَّ الغزل الصريح في حد ذاته يقوم على ما ذكره قدامة بن جعفر(337ه) في التفريق بين مصطلحي النسيب والغزل عموماً من أنَّه "هو التصابي والاستهتار بمودات النساء، ويقال في الإنسان: إنه غزل، إذا كان متشكلاً بالصورة التي تليق بالنساء، وتجانس موافقاتهنَّ لحاجته إلى الوجه الذي يجذبهن إلى أن يملن إليه" (قدامة بن جعفر،1302ه)، وهو -إضافة إلى هذه المعاني- يتوجه إلى المظاهر الحسية الجسدية، في ضوء وصفها، وإشاعة ما هو مستور منها (**علي الجندي،1991**) ونقطة التماس بين الغزل الصريح ومبادئ الفلسفة الوجودية تكمن في الباعث المشترك، فإذا كان الغزل العفيف إنَّما وجد نتيجة الالتزام الأخلاقي الجماعي، أو الديني الخاص؛ فالغزل الصريح إنَّما وجد نتيجة الهروب من هذه القيود، والنظر الخالص إلى شهوات الذات ومتطلباتها (**مصطفى صادق الرافعي، 1976**)

وقد ظهر هذا الغرض الشعري بهذا الباعث الوجودي بقوة في الشعر الأندلسي، بل يمكن القول بأنَّ الغزل العفيف في الشعر الأندلسي لم يكن إلا تقليداً للمشارقة، ومراعاة للتقاليد الأدبية التي شاعت عندهم، أما الغزل الصريح فقد كان تعبيراً عن الذات الأندلسية، وعن الطبيعة غير المتحفظة، خصوصاً في عصور الترف، وعند من نشأوا في ظل الترف كملوك الطوائف (**رحمي عمران وآخرون،2011**)، كما يمثله قول المعتمد بن عباد: [من الطويل] (**المعتمد بن عباد، 2000**)

أباحَ لطيفي طَيْفُهَا الخَدَّ والنَّهْدَا ... فعَضَن به تفاحة واجتنى وردا
وألثمني ثغرا شممت نسيمه ... فخيل لي أني شممت به نَدًّا

وما أكثر الأمثلة في شعر ملوك الطوائف والمرابطين على تلك الظاهرة، فقد شاع في هذين العصرين أن يصف الشاعر الأندلسي محبوبته وصفاً حسياً لا تحفظ فيه ولا احتشام، حتى بلغ بعضهم حد التهتك والمجون، وانزلقوا إلى درجة كبيرة من العبث واللهو (محمد صبحي،2005)، وهذا بدافع نظرة ذاتية متفلتة من القواعد المجتمعية المتحفظة والأحكام الدينية المتحكمة.

ثانياً: الخمريات: يطلق مصطلح الخمريات على الأشعار التي تتناول عالم الشراب، بدءا من وصفها وبيان صفاتها، وصفات الأنية التي تشرب فيها، وانتهاء بوصف ما يوجد في مجالسها من سقاة وندمان ولهو وطرب (**رجاء أحمد صادق،2003**)، وهذا الفن قد ظهر في الأندلس بدافع فلسفة فردية ونظرة ذاتية تقومان على إحساس الفرد بضياع العمر وزوال الشباب وتفاهة الحياة؛ وأنَّه -باعتباره فرداً أو موجوداً- مثقل الكاهل دائماً بالهموم، وبأن السعادة كالطير الذي يصعب اقتناصه؛ فعليه أن يغتن الفرصة ويستمتع بلحظات العمر، وينعم بعيشه قبل فوات الأوان، ولأجل هذا الهدف يقدم على الشراب ومعاقرة الخمر؛ لعلها تنسيه واقعه الأليم (محمد مجيد السعيد،2001)

وهذا الفلسفة هي ما يعبر عنها الشاعر بقوله: [من الكامل] (**المعتمد بن عباد، 2000**)

علل فؤادك قد أبل عليل ... واغنم حياتك فالبقاء قليل
لو أن عمرك ألف عام كامل ... ما كان حقا أن يقال: طويل
أكذا يقود بك الأسى نحو الردى ... والعود عود والشمل شمول
لا يستبيك الهم نفسك عنوة ... والكأس سيف في يديك صقيل
بالعقل تزدحم الهموم على الحشا ... فالعقل عندي أن تزول عقول[24]

ولم يكن دور الخمر -وفقاً لهذه الفلسفة- موقوفاً على الهروب من الواقع الأليم، بل كانت الخمر كذلك وسيلة لتحصيل اللذة، تلك اللذة التي كان مكمنها الدخول في عالم اللاشعور، كما يقول ابن حمديس: [من السريع] (ابن حميدس، 2000)

باكر إلى اللذات واركب لها ... سوابق اللهو ذوات المراح
يا ضاح لا تصح فكم من لذة ... في السكر لم يدر بها عيش صاح

فالخمر هي مطية اللذة الذاتية، والسبيل إليها، تلك اللذة التي لا يعلم عنها شيئاً من بات صاحياً، معملاً عقله، فهذه هي النظرة الفلسفية التي كانت وراء الخمريات الأندلسية، كما يظهر من تلك الأمثلة وكما يظهر من تعبيرات (لا يستبيك الهم)، (باكر إلى اللذات).

ثالثاً: المراثي الثائرة : لا تقف نظرتنا إلى الرثاء على مجرد كونه مدح الميت وذكر صفاته الكريمة، كما تذكر ذلك كثير من مصادر الأدب القديم (قدامة بن جعفر، 1302ه)، ولكنها تتعدى ذلك إلى موقف النفس البشرية الراثية من مصيبة الموت التي حدثت، فأنَّ تلك النفس كثيراً ما كانت تميل إلى الحياة المادية واللذة التي تُنال بوجودها فيها؛ ممَّا يجعلها تقف أمام الموت موقف الرافض لهذا القدر المحتوم الثائر عليه (شوقي ضيف، 1987)

وهذا الأمر ليس وجه التماس الوحيد بين الفكر الوجودي وما نسميه الرثاء الثائر، بل يشارك ذلك أيضاً أن الموت والفناء أحد أسباب الإحساس بالضيق والقلق واليأس والشعور بالسقوط والإحباط عند الوجوديين؛ لأن الوجودية لا تمنح شيئاً ثابتاً يساعد على التماسك والإيمان وتعد الإنسان قد أُلقي به في هذا العالم وسط مخاطر تؤدي به إلى الفناء[28].

وهذان السببان كانا وراء الموقف الرافض لقدر الموت، والثورة ضدها، وعدم التحلي بالصبر حيالها فيما نسميه (المراثي الثائرة) في الشعر الأندلسي، وذلك كما يظهر في قول المعتمد بن عباد: [من الطويل] (المعتمد بن عباد ، 2000)

يقولون صَبراً لا سبيلَ إلى الصبر ... سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري
هَوَى الكوكبان: الفتح ثم شقيقه ... يزيد فهل بعد الكواكب من صبر
ترى زهرها في مأتم كل ليلة ... يخمشن لهفا وسطه صفحة البدر
ينحن على نجمين أثكلن ذا وذا ... ويا صبر ما للقلب في الصبر من عذر
توليتما والسن بعد صغيرة ... ولم تلبث الأيام أن صغرت قدري
توليتما حين انتهت بكما العلى ... إلى غاية كل إلى غاية يجري
معي الأخوات الهالكات عليكما ... وأمكما الثكلى المضرمة الصدر

في هذه الأبيات الراثية يرفض الشاعر حدث الموت الواقع بولديه، ويعلن عدم رضاه به، أو –على الأقل- عدم صبره عليها، كما يظهر من ألفاظ (لا سبيلَ إلى الصبرِ)، (فهل بعد الكواكب من صبر)، وهذا الاعتراض أو عدم الصبر ليس وليد منظور وجودي ذاتي.

المبحث الثاني

اتجاهات مناهضة للوجودية في الشعر الأندلسي

أولاً: الغزل العفيف : الغزل العفيف، أو الغزل العذري، أو ذلك الغزل الذي تكثر فيه الأدلة على التهالك في الصبابة، وتتظاهر فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة، وما يكون فيه من التصابي والرقة أكثر مما يكون فيه من الخشن والجلادة، ومن الخشوع والذلة أكثر مما يكون فيه من الإباء والعز (قدامة بن جعفر،1302ه)–نوع من الغزل يضاد في ذاته منازع النفس الإنسانية أو ميلها الجنسي أو الشهواني الذاتي، فأنّ هذا النوع من الغزل والذي قبله إنّما يشتركان في كونهما حديثاً عن المرأة، والدافع وراءهما هو الميل لهذه المرأة، لكن النوع الثاني –من وجهة نظرنا- يختلف عن النوع الأول في أنه يراعي قيوداً معينة توقفه عن الوصف الجسدي، أو الحديث الشهواني، وتحجره على الحديث في الأمور المعنوية، إما قيودا دينية، أو قيودا مجتمعية **(مانع بن حماد الجهني، 1999)**

تظهر هذه القيود مثلا في قصيدة ابن زيدون: [من البسيط] (ابن زيدون، 1996)

أضحى التنائي بديلا عن تدانينا	وناب عن طيب لقيانا تجافينا
ألا وقد صبح البين صبحنا	حين فقام بنا للحين ناعينا
من مبلغ الملبسينا بانزياحهم	حزنا مع الدهر لا يبلى ويبلينا
أن الزمان الذي ما زال يضحكنا	أنسا بقربهم قد عاد يبكينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا	بأن نَغَصَّ، فقال الدهر: أمينا
فانحل ما كان معقودا بأنفسنا	وانبت ما كان موصولا بأيدينا

هكذا لم يعد الغزل وصفاً جسدياً صريحاً للمرأة؛ فقد كان التلاقي بين الرجل والمرأة ممنوعاً بقيود المجتمع، ذلك المجتمع الذي أشار إليه ابن زيدون بمعنى (العدا)، ولعل ذلك الدافع المناهض للفكر الوجودي قد أسهم في تحول القصائد الغزلية لابن زيدون وغيره إلى ما يُشبه الرسائل الخفية التي ترسل للمرأة عن طريق منشدي القصيدة، ولم تصبح وصفاً للمرأة ولا كلفا بالمناجاة الذاتية. وكان من دواعي هذا الموقف أن تتخذ سياقاً عاطفياً وفكرياً محدداً بحدود الرسالة نفسها(احسان عباس،1978)

ومن أدل الدليل على وقوف هذا القيد حائلا ًأمام دوافع الفكر الوجودي تعرج بالشاعر من الغزل الصريح إلى الغزل العفيف, إنَّ ابن زيدون في هذه القصيدة لم يكن يهتف بالغزل العفيف، بل كان أكثر غزله صريحاً ولم يكن يترك ذلك إلا حين ييأس من اللقاء أو يتقي الشبهات أو عيون الرقباء، ولم يكن ذلك منبعثا عن عفة ذاتية، أو تحرج شخصي**(علي عبد العظيم، 1955)**

و كان للمركز المهم الذي تحتله المرأة في الطبقتين الأرستقراطية والوسطى، وما كانت تُحاط به من هالة الاهتمام والتقدير، وما يشعر المحب تجاهها من معاناة ومتاعب للوصول إليها والالتقاء بها، دور كبير في إجبار الشاعر على العدول عن نوازعه الوجودية في الغزل الصريح إلى الغزل العفيف الذي يتحدث عن المواجد والأشواق والتطلعات التي يحسها إتجاه الحبيب البعيد المنال، ويعبر عن الآلام التي يعيشها ويعانيها من جراء البعد، وتصوير كل ما يلاقيه في سبيل لقائه (نميري تاج السر أحمد لقمان،2005)

ثانياً: **شعر الزهد** : لا يخفى ما في شعر الزهد من تناقض واضح مع الدوافع الوجودية؛ فشعر الزهد في أصل نشأته إنَّما هو نظر أصيل للماهية لا للوجود؛ فهو –في حد ذاته- حنين الروح الإنسانية (الوجود) إلى معرفة مصدرها الأول (الماهية) ولمعرفة الخالق عن طريق الزهد في الدنيا ومتاعها، والرغبة عن نعيم الدنيا وتفضيل نعيم الآخرة عليها (سراج الدين محمد،1999)

والزاهد هو أكثر الناس تقابلاً مع الوجودي؛ لأنه يُفترض في متبعي هذا المذهب أن يتجردوا لله ويعكفوا على صلواتهم في خلوة من البشر متجردين من الترف الذاتي، لا يبتغون عرضاً من الأعراض ولا مطلباً من الحياة المادية التي يقبل عليها الوجودي (مصطفى فتحي أبو شارب، 1999)

وقد عرفت الأندلس بكثرة زهادها، ويؤكد ذلك ابن بشكوال الذي صنف كتاباً بعنوان (زهاد الأندلس وأئمتها)، إلا أنَّ هذا الكتاب مفقود ولم يصلنا؛ إذ طوته محن الزمان التي عدت عليه **(مصطفى الشكعي،1987)**، على أنَّ فارسي ميدان الزهد اللذين جريا فيه إلى نهايته وجعلاً منه فناً هما ابن العسال وأبو إسحاق الألبيري، أما ابن العسال فكان زاهد طليطلة المشهور بالكرامات وإجابة الدعوات، وأما أبو إسحاق الألبيري فكان من أهل العلم والعمل معروفا بالصلاح (احسان عباس ، 1987)

ومن الأمثلة شعر الزهد قول الشاعر: [من الرمل] (ابن بسام ، 1978)

جملة الدنيا ذهاب	مثل ما قالوا سراب
والذي منها مشيد	فخراب ويباب
وأرى الدهر بخيلًا	أبدًا فيه اضطراب
سالب ما هو معطٍ	فالذي يعطي عذاب
وليوم الحشر إنعا	م سؤال وجواب
وصراط مستقيم	يوم لا يطوى كتاب
فاتق الله وجنب	كل ما فيه حساب

ففي هذا المثال يظهر الزهد باعتباره المظهر العكسي لمبدأ الوجودية (الماهية قبل الوجود)، فـ(الدنيا سراب)، و (وليوم الحشر إنعام سؤال وجواب).

ثالثاً: المراثي الباكية : المراثي الباكية هي الرثاء الذي توقف عن مدح الميت، وعلى بيان الرضا به بوصفه قدرا لله تعالى، والتصبر عليه، وحبس النفس عن الجزع وعن التعبير بعدم الرضا أو الموافقة، حتى ينتقل إلى مرتبة أخرى من الرثاء يسميها الدكتور شوقي ضيف (الرثاء)؛ ففي هذه المرتبة ينفذ الشاعر من التفكير في مصيبة الموت بوصفها مصيبة فردية ذاتية، إلى التفكير فيها بوصفها حكمة إلهية وقدرا ربانيا.

ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر: [من الكامل] (ابن بسام، 1978)

سبق الفناء فما يدوم بقاء	تفنى النجوم وتسقط البيضاء
نفسي وحسي إن وصفتهما معا	آل يذوب وصخرة خلقاء
لو تعلم الأجبال كيف مآلها	علمي لما امتسكت لها أرجاء
إنا لنعلم ما يراد بنا فلم	تعيا القلوب وتغلب الأهواء
طيف المنايا في أساليب المنى	وعلى طريق الصحة الأدواء
بتعاقب الأضداد مما قد ترى	جلبت عليك الحكمة الشنعاء
ماذا على ابن الموت من إبصاره	ولقائه هل عقت الأبناء
أيغرني أن يستطيل بي	وأبي بحيث تواصت الغبراء
	في طبعه لو صحت الآراء

المدى ... أن تستوي من جنه الأعضاء
لم ينكر الإنسان ما هو ثابت ... أمواتنا لو تشعر الأحياء
ونظير موت المرء بعد حياته ... أو تنتضي من شخصها الحوباء
دنف يبكي للصحيح وإنما ... حيث استقل بها الثرى والماء
وسواء أن تجلى اللحاظ من القذى ... ومن الخلاص مشقة وعناء
ما النفس إلا شعلة سقطت إلى
حتى إذا خلصت تعود كما بدت

الخاتمة

بعدما تقدم في هذه البحث من دراسة لظاهرة الوجودية في شعر الطوائف والمرابطين نختم قراءتنا بالوقوف على أهم النتائج التي توصل لها الباحث التي يمكن رصدها على النحو الآتي:-

1) المذهب الوجودي أو الفكر الوجودي في المجتمع الأندلسي وعند أدباء الأندلس نشأ نتيجة اضطرابات اجتماعية، وصعوبات معيشية أفرزت هذه النظرة.

2) فن الغزل الصريح في المجتمع الإسلامي عموما وفي المجتمع الأندلسي خصوصا نشأ نتيجة نظرة وجودية للقيم والدين والأعراف في هذا المجتمع.

3) هذه الظاهرة هي خروج عن الواقع الحقيقي والهدف الذي سعى المسلمون لتحقيقه في ضوء تثبيت الدين الإسلامي فهو الهدف الأسمى عندما فتحوا الأندلس.

4) ظهر غرض الخمر في البيئة الأندلسية بدافع فلسفة فردية ونظرة ذاتية تقومان على إحساس الفرد بضياع العمر وزوال الشباب وتفاهة الحياة

المصادر

1) ابن زيدون عصره وحياته وأدبه، علي عبد العظيم، مكتبة الأنجلو المصرية، 1955م.

2) الأدب الأندلسي ..موضوعاته وفنونه، د. مصطفى الشكعي، دار العلم للملايين – بيروت، ط9.

3) تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي.

4) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة– بيروت، ط5، 1978م.

5) تاريخ الأدب الأندلسي، د. إحسان عباس، دار الثقافة– بيروت، ط5، 1978م.

6) تطور الفكر التربوي، لأحمد وسعد مرسي، عالم الكتب – القاهرة، 1986م، ط10.

7) حصاد الهشيم لإبراهيم عبد القادر المازني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – مصر.

8) الخمريات في الشعر الأموي، رجاء أحمد صادق، مؤسسة الانتشار العربي.

9) ديوان ابن حمديس، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

10) ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق: علي عبد العظيم، دار نهضة مصر.

11) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر – بيروت، ط2، 1988م.

12) ديوان المعتمد بن عباد، تحقيق: حامد عبد المجيد - أحمد أحمد بدوي، دار الكتب المصرية، 2000م.

13) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب– ليبيا، ط1، 1978م.

14) الرثاء لشوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط4.

15) الزهد والتصوف في الشعر العربي، سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعية - بيروت.

16) سوسيولوجيا الغزل العربي (الغزل العذي نموذجا)، الطاهر لبيب، ترجمة: مصطفى المسناوي، الدار البيضاء، ط1، 1987م.

17) الشعر الأندلسي في عصر الطوائف اتجاهاته وخصائصه (رسالة ماجستير)، نميري تاج السر أحمد لقمان، كلية اللغة العربية – جامعة أم درمان، 2005م.

18) الشعر غايته ووسائله لإبراهيم عبد القادر المازني، دار الفكر اللبناني – بيروت، ط2، 1990م.

19) الشعر في ظل بني عباد، د. محمد مجيد السعيد، طبعة وزارة التربية - السودان.

20) الشعر والحرية في التجربة الشعرية العربية، محمد الحمامصي، مجلة البيان - الإمارات، بتاريخ: 6\ 2 \2010م.

21) الشعراء المروانيون في الأندلس، د. مصطفى فتحي أبو شارب، دار المفردات في النشر، 1419هـ\ 1999م.

22) صورة المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، رحمي عمران – محمد أبو ذر خليل، مجلة القسم العربي – جامعة بنجاب، باكستان، العدد (18)، 2011م.

23) في تاريخ الأدب الجاهلي لعلي الجندي، مكتبة دار التراث، ط1، 1991م.

24) مبادئ الفلسفة، أ.سرابوبرت، ترجمة: أحمد أمين، مكتبة الخانجي– مصر، ط6.

25) المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء ابن شاهنشاه، المطبعة الحسينية المصرية، ط1.

26) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية–جدة، ط1، 1427هـ\ 2006م.

27) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1420هـ.

28) نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب – قسطنطينية، ط1، 1302هـ.

29) الوجود والعدم، لسارتر، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الآداب – بيروت، ط1، 1966م.

30) الوجودية مذهب إنساني لسارتر، ترجمة: عبد المنعم الحفني، الدار المصرية، ط1، 1964م.